مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

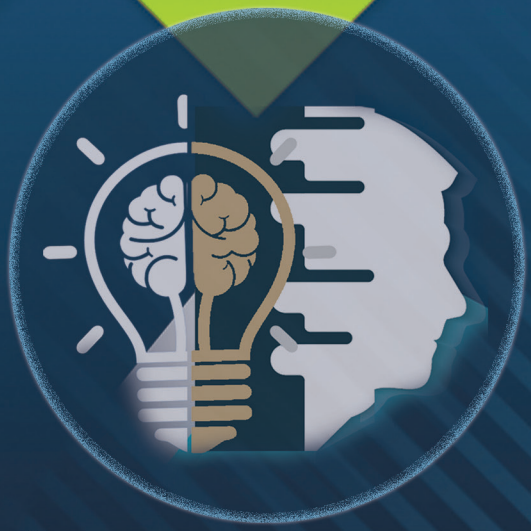

السنة التاسعة، العدد 30
المجلد الثاني، يونيو 2026

Arcif Analytics

Print ISSN:1658-788X
Online E-ISSN:1658-8819

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. نوف بنت سالم الشمري

أستاذ البلاغة والنقد، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. عبد العزيز بن سليمان الغسلان

أستاذ السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

أ. د. عمر عبد الله العنانزة

أستاذ الإدارة الفندقية، جامعة اليرموك

المملكة الأردنية الهاشمية

أ. د. عبد الله محمد أبو تينة

أستاذ القيادة التربوية، جامعة قطر، دولة قطر

أ. د. سيندر دوفتشين

أستاذ تعليم اللغة، جامعة كيرتن، أستراليا

د. ثامر بن عيسى العميم

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك، جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

د. عمر عبد الله الصمعاني

استاذ تنمية المواهب والابتكار المشارك، جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

د. محمد بن حسين أوانق أحمد

محاضر أول (Senior Lecturer) في دراسات اللغة العربية

جامعة ملايا، ماليزيا

أ. ممدوح نويجع الرشيدي

سكرتير هيئة التحرير

مدير إدارة التحرير

د. علي بن عيسى الشمري

أستاذ المناهج وتعليم اللغة العربية المشارك، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

تجليات الصراع في الشعر النسوي: دراسة موضوعية فنية في ديوان روضة الحاج «ثم توليت للظل»

Feminist Struggles and Identity in Rowaida Al-Haj's Then You Turned to the Shade: A Thematic and Artistic Study

د. جواهر بنت عبد الله العصيمي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.

https://orcid.org/0009-0001-6922-1130

Dr. Jawahir bint Abdullah Al-Osaymi

Associate Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Al Baha University, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/09/25، تاريخ القبول: 2026/02/22، تاريخ النشر: 2026/04/01)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تجليات الصراع في الشعر النسوي في ديوان (ثمّ توليت للظلّ) للشاعرة السودانية روضة الحاج، من خلال منهج موضوعي فني يكشف عن البنية الدلالية والجمالية للنصوص. ويتتبع البحث مظاهر الصراع في بعديه الخارجي (مع المجتمع والسلطة الذكورية) والداخلي (صراع الذات مع قيودها وأحلامها)، كما يوضح كيفية إسهام اللغة والرمز والأسطورة في صياغة رؤية أنثوية متميزة. ويركّز أيضًا على البنية الفنية من إيقاع، وصورة، مما يجعل التجربة الشعرية أكثر كثافة وعمقًا. وقد خلص البحث إلى أن ديوان (ثم توليت للظل) يمثل خطابًا شعريًا يحمل وعيًا نسويًا بقضايا الوطن والمجتمع، يسعى إلى تأكيد حضور المرأة في الصراع ورفض تهميش دورها، ويعيد صياغة علاقتها بالآخر عبر لغة شعرية ثرية ومشحونة بالتوتر الوجداني. وبذلك يضيء الديوان جانبًا مهمًا من تطور الشعر النسوي العربي المعاصر، ويمنح المرأة مساحة للتعبير عن هويتها وصراعاتها ضمن سياق إبداعي راقٍ.

الكلمات المفتاحية: الشعر النسوي، القضايا الوطنية، الصراع، ديوان ثم توليت للظل.

Abstract

This study aims to examine the manifestations of conflict in feminist poetry through the Diwan Then I Turned to the Shade by the Sudanese poet Rawda Al-Haj, adopting a thematic and artistic approach that reveals the semantic and aesthetic structures of the poetic texts. The study traces the manifestations of conflict in both its external dimension—represented by confrontation with society and patriarchal authority—and its internal dimension, which reflects the self's struggle with its constraints and aspirations. It also elucidates how language, symbolism, and myth contribute to shaping a distinctive feminine vision. Furthermore, the study focuses on the artistic structure of the poems, including rhythm and imagery, which enhances the intensity and depth of the poetic experience. The study concludes that Then I Turned to the Shade constitutes a poetic discourse imbued with feminist awareness of national and social issues, seeking to affirm women's presence within the sphere of conflict, rejecting the marginalization of their role, and rearticulating their relationship with the Other through a rich poetic language charged with emotional tension. Accordingly, the Diwan sheds light on a significant aspect of the development of contemporary Arab feminist poetry and provides women with a creative space to articulate their identity and struggles within a refined artistic context.

Keywords: Feminist poetry; national issues; conflict; Then I Turned to the Shade.

للاستشهاد: العصيمي، جواهر بنت عبد الله العصيمي. (2026). تجليات الصراع في الشعر النسوي: دراسة موضوعية فنية في ديوان روضة الحاج «ثم توليت للظل». *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 02 (30)، ص79– ص97.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث.

Funding: "There is no funding for this research".

مقدمة:

ألهمت الأزمات والنكبات والصراعات الدامية التي عاشتها الأمم والشعوب إبداع الشعراء، وأذكت نار الشاعرية في وجدانهم، فوجدوا أنفسهم أمام أسئلة وجودية كبرى عن الذات والهوية والوطن والأمة، فانبرى الشعراء للدفاع عن أحد أطراف الصراع أو انتقاد الطرف الآخر فخرًا ومدحًا وهجاءً، كما كان لهم دورٌ بارزٌ في التعبير عن المشاعر والبحث عن إجابات الأسئلة التي تلقي ظلالها في الأوقات الصعبة، والتعبير عن مواقفهم، وقناعاتهم حيال تلك الأوضاع القائمة أو التي عفا عليها الزمن. وقد تنبه النقاد القدماء إلى علاقة الشعر بالصراعات، يقول ابن سلام: «وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حَرْب الْأَوْس والخزرج أَو قوم يغيرون ويغار عَلَيْهِم والذي قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا». (الجمحي، 1997، ص.259)

يُعدُّ الصراع من أبرز المحرّكات التعبيرية في الشعر النسوي العربي المعاصر، إذ تتخذ منه الشاعرة وسيلة للكشف عن توتّرات الذات، وتعقيدات العلاقة مع الآخر، وضغوط الواقع الاجتماعي والوجودي. وقد شكّل هذا الصراع في كثير من التجارب النسوية محورًا دلاليًا وفنيًا أسهم في إعادة تشكيل الخطاب الشعري من حيث الرؤية واللغة والبناء.

ويمتد الحال مع العصور الأدبية اللاحقة حتى العصر الحديث دون أن يخمد صوت الشعر أو يخبو لهيبه، فقد احتدمت الصراعات والأزمات احتدامًا يفوق الوصف، ولا يزال الشاعر منهمكًا في طرح أسئلة الإنسان وعلاقاته داخل المجتمع والتعبير عن تطلعاته وآماله، ومنشغلاً بالبحث عن القيم الجمالية والأدوات الفنية المواكبة لروح عصره.

وتجربة الشاعرة السودانية روضة الحاج من أبرز التجارب الشعرية العربية التي نجحت في رسم ملامح خطاب شعري نسوي متمايز، يجمع بين الذاتية الحميمية والقضايا العامة، ويُجسد بصدق أوجاع الأمة العربية وهمومها، ولا سيما ما يجري في وطنها السودان الذي خلّف في داخلها جرحًا عميقًا.

ففي خضم أتون تلك الحرب الدائرة بين الفصائل وما خلفه من موت ودمار استحالت معه الحياة والأمان حيث دخل الشعب السوداني في نفق الصراع، وصارت الحرب أمرًا مفروضًا بوطأته وثقله على الشعب السوداني. هذه الأحوال أنطقت الشاعرة للتعبير عن آلام وطنها فاتجهت إلى دراسة مظاهر ذلك الصراع وتجلياته في ديوانها «ثم توليت للظل» الذي صدر عام 2023م. « ألقت الحرب المستعرة في السودان منذ أكثر من عامين بظلال قاتمة على حياة الملايين، لكن النساء كن الأكثر تضررا من هذا الصراع الدامي، إذ وجدن أنفسهن في مواجهة الجوع والنزوح، وانعدام الرعاية الأساسية، وتفاقم مظاهر العنف القائم على النوع الاجتماعي، بحسب تقارير أممية حديثة». https://url-shortener.me/8LMJ تقرير قناة الجزيرة.

ومن هنا تتمحور إشكالية البحث في هذا السؤال:

كيف تجلى الصراع عند روضة الحاج في ديوان (ثم تولت للظل) من خلال الرؤية الفنية والموضوعية؟

لذا كان من أبرز أهداف هذه الدراسة:

1. الكشف عن تجليات الصراع من رؤية الشاعرة في الديوان.
2. بيان علاقة الهوية بالخطاب الشعري لدى روضة الحاج.
3. تحليل الأبعاد الفنية والجمالية الموظفة في التعبير عن الصراع.
4. إبراز خصوصية التجربة الشعرية للشاعرة في سياقها الثقافي. فالسودان في خارطة الدراسات النقدية —كما صرحت بذلك الشاعرة في إحدى لقاءاتها: «ظلت غائبة ومغيبة في المشهد العربي الثقافي وليس بشكل قصدي ولكنْ هناك شعراء سودانيون نجحوا في الوصول الى القاهرة من خلال الدراسة، أو عبر العلاقات القوية بين السودان ومصر حيث سطع نجمهم وعرفوا في الوسط الثقافي الشعري؛ لأن القاهرة أتاحت لهم ما لم تتحه الخرطوم، فكثيرًا من الظروف التي عتَّمت على الحركة الثقافية السودانية والنقدية والإبداعية، فالناس عرفوا الفيتوري والطيب صالح من القاهرة وغيرهم»(موقع بيان، 2009).

إنّ معالجة إشكالية هذا البحث لا يمكن أنْ تتيسر من دون الاستفادة من أدوات المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه المنهج الأنسب لدراسة النصوص الأدبية والكشف عن أبعادها الدلالية والفنية، وذلك من خلال تتبع تجليات الصراع في الشعر النسوي كما تمثلت في ديوان «ثم توليتُ للظل» للشاعرة روضة الحاج، وتحليلها تحليلًا موضوعيًا وفنيًا، ويمكن القول: إن هذا «المنهج يعدُّ من أكثر المناهج صلة بالأدب، لأنه يرتبط بالنص وحكمه عليه يجمع بين الجانب الذاتي متمثلاً في الذوق الأدبي للناقد والجانب الموضوعي متمثلاً في الأصول والقواعد الفنية والموضوعية.» (ماهر شعبان، 2009، ص. 210)

وسبقت هذه الدراسة مجموعة من الدراسات التي تناولت شعر روضة الحاج بصفة عامة، منها على سبيل المثال: رسالة ماجستير «شعر روضة الحاج دراسة أسلوبية» العنود عياض، ورسالة «الاغتراب في شعر روضة الحاج — دراسة أسلوبية» شيهانة الشهراني، كلاهما من جامعة الإمام محمد بن سعود ، وأيضًا رسالة « النقد الثقافي التفاعلي، دراسة تطبيقية على شعر روضة الحاج» زين العابدين أبكر محمد عبدالله، جامعة النيلين 1438هـ- 2017م، وبحث بعنوان:» استلهام التراث في شعر روضة الحاج» عبدالله محمد الأمين المنشور في المجلة العلمية للغة والثقافة، وبحث «تطبيق المنهج الإحصائي في نقد النصوص الشعرية لقصائد الشاعرة روضة الحاج» نسرين عبد الساوي سعيد بلال، جامعة الملك خالد، وكذلك بحث « المعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج، عبد الله محمد الأمين، مجلة كلية اللغة العربية جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الحادي عشر 1444هـ- 2022م، والبحث المقدم من محمد عبد الله سليمان الصديق بعنوان «شعر روضة الحاج : مقاربة في ضوء نظرية التناص»، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد التاسع عشر حزيران

2021م المجلد الخامس، وكذلك بحث: رثاء الشعراء (قصيدة تمائم الغياب لروضة الحاج أنموذجًا) مساءلة الرؤية ومقاربة النص، الجوهرة النغيمشي، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، العدد(18) سبتمبر 2021م، المجلد(7)، وأيضًا بحث: ملامح الخطاب الأنثوي في ديوان «ضوء لأقبية السؤال» للشاعرة السودانية روضة الحاج، منى المالكي، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، العدد (11) سبتمبر 2021م، ومقالة بعنوان: « الأثر القرآني في أشعار روضة الحاج» بقلم: عبد الحميد أحمد محمد.

ومن أهم الدراسات هنا بحث: ملامح الخطاب الأنثوي في ديوان «ضوء لأقبية السؤال» للشاعرة السودانية روضة الحاج، منى المالكي، وهو بحث استخدم التحليل لكشف ملامح الخطاب الأنثوي، عبر تصوير معاناة الذات التي تشعر بالتشظي والتهميش، ومواجهة الآخر وقد استلهمت شخصية شهرزاد في مواجهة سطوة الآخر المذكر شهريار، ومواجهة الثقافة من جانب اللغة حيث تعلن الأنا المضطهدة بفعل الأيدلوجيا، ونقد الثقافة الذكورية، وهي القيثارة التي تعزف عليها الأنثى، حيث ترغب في التعالي على القيود التي اصطنعتها الثقافة الذكورية، فتسعى الشاعرة إلى تقويض صورة الفحل، والتحرر من عبودية الثقافة الذكورية.

وتلك ملامح أنثوية وعزف بألحان أنثوية بامتياز.

وأما بحث «شعر روضة الحاج: مقاربة في ضوء نظرية التناص»، محمد عبد الله سليمان الصديق، فلا تقتصر على المدخل التنظيري للمفهوم، بل تمتد إلى آليات توظيفه داخل النص الشعري، من خلال تصنيفه إلى ثلاثة أقسام، الأول: الاجترار، وهو استدعاء النص السابق بلفظه ومعناه، وقد رصده في شعر روضة في استدعاء القرآن والشعر العربي، الثاني: الامتصاص، وهو استدعاء معنى نصوص سابقة، الثالث: الحوار، وهو لا يقف عند البنية السطحية للنص السابق، بل ينقده، ويقلب تصوره. وقد خلص إلى أن التناص يعكس العمق الثقافي للشاعرة وقدرتها على التوظيف.

وقد ارتكز البحث على تمهيد، وثلاثة محاور:

تمهيد: روضة الحاج، نشأتها وحياتها.

- المحور الأول: تمثلات القضايا الوطنية والقومية.
- المحور الثاني: المرأة والصراعات.
- المحور الثالث: البناء الفني والجمالي.

روضة الحاج، نشأتها وحياتها.

من الأرض التي ولّدت أشهر الأدباء العرب في القرن العشرين، وأبرز كتّاب فنّ الرواية والقصص القصيرة؛ «عبقري الرواية العربية» الطيب صالح، وتحديدًا من شرق السودان بكسلا ولدت الشاعرة روضة الحاج محمد عثمان عام 1969م، لأب من شندي وأم من كردفان.

«درستْ روضة الحاج اللغة العربية بكلية الآداب جامعة النيلين، ثم أكملت دراستها العليا بجامعة أم درم الإسلامية. وهي شاعرة وكاتبة ومحررة ومراسلة ومذيعة، تعمل في الإذاعة السودانية وفي قناة الشروق الفضائية السودانية، تقدم برنامج سفراء المعاني وهو حوار فكرى ثقافي مع رموز الفكر والشعر والثقافة من السودانيين والعرب.

شاركت في العديد من المهرجانات والملتقيات الشعرية والثقافية في السودان، وسوريا، وليبيا، وعمان، والأردن. كما شاركت في مسابقة برنامج أمير الشعراء وحازت على المركز الرابع عام 2008م، وفازت بالجائزة الأولى في مسابقة أندية الفتيات بالشارقة في مجال الشعر على مستوى الوطن العربي» (عبد الله، 2017. ص. 50)، كما توِّجت بجائزة مهرجان سوق عكاظ الأولى في دورته عام 2012م، وتلحفت ببردته، ويعتبرها كثير من النقاد «من أهم الأصوات الشعرية الشابة في الوطن العربي، أحبت زوجها ومدينتها وأهلها وبلدها، والأخلاق السامية والنضال والمرأة العربية، فكانت تلك مواضيع كتاباتها. مثلت السودان في مسابقات شعرية عربية، فازت بالمركز الأول في كثير منها، مثل منافسات أندية الفتيات بالشارقة عام 2002م، ومهرجان الإبداع النسوي، فازت قي استفتاء وكالة أنباء الشعر العربي السعودي بالمركز الأول على مستوى الشاعرات العربيات لعام 2008م، وحصلت على الجائزة الذهبية لأفضل محاور من مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون عام 2008 م، وقد ترجمت قصائدها إلى الفرنسية والإنجليزية» (عبد الله، 2017، ص.51).

صدر لها العديد من الدواوين منها:

- عش القصيد: صدر في ست طبعات بين عام 2000م، تاريخ أول طبعة وعام 2011م آخر الطبعات.
- في الساحل يعترف القلب: صدر في ثلاث طبعات الأولى عام2001م، والثالثة عام 2011م.
- للحلم جناح واحد: ثلاث طبعات الأولى عام2001م، والثالثة عام 2011م.
- مدن المنافي: فاز بالجائزة الأولى لإبداعات المرأة العربية في الأدب من أندية الفتيات بالشارقة 2000م، ويمثل بداية تجربتها الإبداعية وبداية مشاركاتها على مستوى الوطن العربي .
- ديوان ضوء لأقبية السؤال: وهو يمثل منعطفًا مهمًا في تجربتها الشعرية.
- لها تحت الطبع: مبني على الكسر // أغنيات الفتى البنفسجي (للأطفال).
- قصائد كأنها ليست لي.
- إذ همى مطر الكلام.
- قلبي على نون النساء.
- ديوان « ثم توليت للظل» عام 2023م إبان أزمة الحرب في السودان.

- مختارات شعرية.

ولها كتابان حول الشاعرات والكاتبات في السودان.

كتب وردت فيها الشاعرة:

- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين — الكويت.
- مختارات من الشعر السوداني — أبو بكر الشريف –السودان.
- تأنيث الخطاب — د. وجدان الصائغ — جامعة ذمار – اليمن.
- عتبات النص د. محمد صابر عبيد – العراق.
- قصائد من الشرق – حسان أبو عاقلة –السودان.

ذكرت الشاعرة في حوار معها بأن والدها كان له الأثر الكبير في تعلقها بالشعر رغم صعوبة الطريق في بداياتها تقول: «كان لوالدي أثرٌ كبيرٌ في تعلّقي بالإيقاع الشعريّ ثم الكلمة فهو تقريبًا لم يكن يكفّ عن التّرنّم بالشّعر والذي هو وسيلته الوحيدة تقريبًا للتّرويح عن نفسه، فضلاً عن ذاكرة متوقّدةٍ مليئةٍ بالقصائد والحكايات الشعبيّة والأمثال والحِكم...أعتقد أن البداية كانت من هنا. (حوار مع روضة الحاج، 2023).

أمّا عن الرّحلة فلن أستطيع القول إنها كانت وعرة، ولن أدّعي سهولتها أيضًا، فالواقع أنني قوبلت بحفاوة كبيرة من المتلقّي السّودانيّ، وقد سبقتني أصوات شعرية عديدة، وأعتقد أنّ المجتمع السّودانيّ بطبيعتهِ مهيّأ بطريقة ما أكثر من غيره من المجتمعات المحافظة للتّعاطي مع إبداع المرأة بتقدير؛ فالمرأة حاضرة في ليالي الأعراس والحنّاء بـ(البنينة)، وهي أغاني تنشئها الجدّة أو العمّة أو الخالة وتنشدها في ليلة العرس، والمرأة حاضرة في الفقد عبر (المناحة) وهي رثائيّات مؤثّرة تنشدها النّساء، والمرأة حاضرة في كل أمسيات البيوت تقريبًا فهي تقوم مقام الحكواتي في البلاد العربية، تروي الحكايات ويتحلّق الصغار حولها يستمعون لحكاياتها؛ ولذا أراني أزعم أن الخيال الإبداعيّ لكلّ المبدعين في السّودان خيال أنثويّ» (حوار مع روضة الحاج، 2023).

وفي لقاء لها عبر شاشة الرائي من خلال القناة الأولى السعودية في برنامج صنوان، ذكرت تأثير والديها في نبوغ هذه التجربة تقول: «والدي علمني الشعر دون قصد، فقد تعرفت على الشعر لأول مرة من خلال صوت والدي، كان راوية لشعر البادية السودانية، وكان يحفظ كثيرًا من هذا الشعر، بل كان يقرض هذا النوع من الشعر، وكان كثير الترديد له حتى أصبح جزءًا من حياته من حديثه اليومي ومن حكاياته وأنسه، فإن ضاعت منه كلمة عرّفته بها، من هنا تعرفت على إيقاع الشعر. وكذلك والدتي كانت من المحظوظات من جيلها اللواتي تلقين تعليمًا نظاميًّا؛ لذلك عرّفتني على كثير من المجلات الثقافية الأدبية وقد كانت محبة جدًا لقراءتها، قرأتُ معها العربي، الفيصل، الدوحة... هذه المجلات العريقة الراسخة التي تسافر عبر العالم العربي وتصل لأطراف الدنيا مبشرةً بالجمال والشعر والثقافة والكلمة، إذ كنا نتلقاها بفرحة غامرة». (برنامج صنوان، 1445هـ).

وفي لقاء آخر مع مجلة مسارات تحدثت الشاعرة عن تجربتها الشعرية الإنسانية، وخصوصية الشعر في السودان، فالسودان بلد له طبيعة خاصة حيث الصحراء والبادية جميعها عناصر كان لها تأثير حول تجربتك الشعرية.. فما قولك؟ «السودان بلد له خصوصية من خلال التكوين العرقي والثقافي والتكوين الجغرافي والتاريخي، كله كان مختلفًا ما أدى إلى تكوين منتج إبداعي متميز يحمل في طياته بصمة مختلفة حسب الطبيعة التي يولد فيها هذا المنتج، فالقصيدة السودانية وكذلك اللوحة التشكيلية السودانية تختلف كليًا وجزئيًا عن القصيدة العربية وكذلك الموسيقى السودانية. وعلى مستوى الشعر أعتقد أنه واحد من أهم الإبداعات الشعرية العربية ما يكتب في السودان.. لا أقول ذلك انحيازًا ولكن نتيجة استماعي للعديد من التجارب والشعراء والشعر والقصائد في عالمنا العربي، وأؤمن أن القصيدة السودانية قصيدة متميزة استطاعت أن تجمع هذا الطرب الإفريقي بين قوسين إلى الذائقة العربية العميقة التي استمدت جذورها من التاريخ العربي والثقافة العربية المتجذرة في السودان، إضافة إلى الثقافة الأفريقية التي اكتسبناها بحكم التكوين الذي جمع بين العرب والأفارقة في السودان في حالة خاصة وفريدة جدًا مع الثقافة العربية واللسان العربي، وهذا يفسر اهتمام وانحياز السودانيين للقصيدة الموزونة سواء العمودية أو التفعيلة، لكن أتصور أن ذلك الطرب الأفريقي هو الذي جعل للسودان مكانة متميزة في عالمنا العربي»(موقع بيان، 2009).

ومن أبرز عوامل نضج تجربتها الشعرية بعد تأثرها بوالديها، كان من خلال قراءاتها المتنوعة، تقول: «تأثرت بالشعر لدى المتنبي وأبي تمام وبعض المعلقات حيث أجد فيها جمالا لا تفقده أبدًا الأيام... وكانت لي قراءات كثيرة لهؤلاء الشعراء القدامى إضافة إلى الشعراء السودانيين مثل محمد سعيد العباس، التيجاني يوسف بشير، الهادي آدم، كل هذه المجموعة الكبيرة من الشعراء حفظت قصائدهم وتأثرت بها، وأتصور أن مجمل هذه القراءات والعلاقات المختلفة بالشعر هي التي وضعتني على طريق كتابة الشعر» (موقع بيان، 2009).

وعن الظروف السياسية التي أحيطت بالسودان، ومعاناتها مع الصراعات والنزاعات المتواصلة، والجراحات الدامية، هل انعكست ملامحها على الشعر السوداني؟ أجابت روضة الحاج: «السودان بلد قدره قدر صعب؛ لأنه قلما يرتاح هذا الوطن ما إن يحظى بالسلامة في مكان ما حتى يعاني جراحًا في مكان آخر... والشعر ظل متقلبًا، لا أستطيع أن أقول: إنه لم يتأثر بالحياة السياسية؛ لأن الشعر هو الحياة مثل المأكل والمشرب ومثل الممارسات الحياتية اليومية لابد أنه تأثر بالفعل السياسي الراهن ، والحركة الثقافية في السودان كانت تريد مناخًا أكثر استقرارًا، ربما تكون هذه التقلبات هي محرضة لكثير من القرائح الشعرية في أن تنهض بالروح الوطنية، وأن يعمل الشعر على تقوية النسيج الوطني أكثر وتمكينه ورفع القيم الجمالية للشعب السوداني» (موقع بيان، 2009).

يتضمن ديوان (ثم تولّيتُ للظل)، مجموعة قصائد تعكس حسًّا شعريًا عميقًا، وتتناول موضوعات متنوعة مثل: الهوى والعشق، الهوية الذاتية والانكسار، التجاوز والتمكّن من الذات، الظلال والغياب والحنين. ومن مقتطفات الديوان التي تداولها القراء:

ضيّعتَ قلباً رائعاً... وظلمتَ نفسكَ وحدَها مثلي أنا... لا تُظلمُ!

تأخَّرتَ حتى آلفتني مخاوفي... وحسبي انكساراً

هذه المقتطفات تؤشر إلى لغة تأملية قوية، وسياق شعري يرتبط بالذات والتجربة الإنسانية، وهو ما يميّز الكثير من نصوص روضة الحاج في دواوينها السابقة أيضًا.

وبناء عليه، يتطرق البحث لكشف الحجب عن تلك القصائد في شعر روضة الحاج من خلال دواوينها المتنوعة. والأدب النسوي أو أدب المرأة اختلف النقاد في المراد منه، «هناك ثلاثة مواقف من مصطلح الأدب النسوي، فهي عند فريق تشير إلى النص الإبداعي المرتبط بقضية المرأة والدفاع عن حقوقها من دون النظر إلى كون الكاتب امرأة أو رجل، وهي عند فريق آخر مصطلح يستشف منه افتراض جوهر محدد لتلك الكتابة بتمايز بينها وبين كتابة الرجل. أما الفريق الثالث فيرى أنه الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة وبصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل في الميادين التي يمكن أن تثبت جدارتها فيها» (سارة علي، 2022، ص.257). وأنا أميل إلى الرأي القائل بأن أدب المرأة هو الأدب الذي تكتبه المرأة في أي موضوع كان؛ لأن الأدب ينبع من روح الكاتب وشخصيته وروحه، وخلاله، والمرأة تختلف ذهنيًا وعاطفيًّا عن الرجل، وتعبيرها واهتمامها ورؤيتها هي جوهر الأدب المعبر عنها، وليس معنى هذا أنها لا تتقاسم الرجل بعض المشترك الإنساني، لا لكن ما يميز أحدهما عن الآخر هو ما يطبع إنتاجه بسمات مميزة.

1. تمثلات القضايا الوطنية والقومية.

ويتناول هذا المحور تمثلات القضايا الوطنية والقومية في شعر روضة الحاج من خلال دواوينها المختلفة، مع التركيز بصورة خاصة على ديوان (ثم توليت للظل) في المحورين الثاني والثالث لدراسة الصراعات من منظور المرأة والبنية الفنية والجمالية في هذا الديوان.

1.1 القضايا الوطنية:

صنع السودانيون أربع تحركات شعبية بدءًا من حركة أكتوبر (تشرين الأول) 1964م، ثم تحرك أبريل (نيسان) 1985م. وبعد قرابة 35 عامًا قامت حركة الاحتجاجات السودانية 2018–2022م التي طالبت بإصلاحات سياسية واجتماعية، وفي حين تتشابه عوامل وأسباب تلك التحركات، إلا أن أوجه الاختلاف بينها ترتبط بمحركاتها الاجتماعية.

وكان من نتائج الحركة الأخيرة في ديسمبر 2018م أن وقعت تلك الحركة فريسة لقوى عسكرية مختلفة تحاول دحرها منذ ميلادها. وحينما استعصى الأمر عليهم، فإن هذه التناحر أوقع البلاد في براثن صراع عبثي، بدأ من الخرطوم منذ الخامس عشر من إبريل 2023م، ثم امتد إلى سبع مدن أخرى في السودان، مخلفًا وراءه الموت، والدمار، والمرض، والفقر (Sky NewsArabia, 2023).

كان الصراع مدمرًا، أتى على كل شيء فلم يبقِ ولم يذر، تتكرر مشاهد الجرائم الشنيعة يوميًا، ولم تتوقف الانتهاكات المروعة التي اشعلت جذوة الحزن والقهر في قلب كل مسلم عربي، وشغلت حيزًا كبيرًا من صفحات المفكرين والسياسيين والمثقفين والأدباء، فوقفت الشاعرة تصدح بالألم وتعبر بالقلم، ليبقى الشعر «كتعبير إنساني نوعي، من أبرز الأدوات التي اتخذها الشعراء السودانيون؛ كي يقدموا انعكاسًا نابعًا من العمق البشري، يوازي وطأة أقدام الحرب على صدر الإنسان» (المعروف، 2023، ص. 13)، فكلما نزف الجرحى، وزاد عدد القتلى، وتيتم الأطفال، وتشردت الأسر، وتفرقت بهم السبل، انبرى صوت الشعر المكلوم الحزين في أغلب قصائد الشاعرة روضة الحاج، كما تبدو في هذه القصيدة تستثمر أداة النداء (يا بلادي) لتُسمع كل من به صمم:

«يا بلادي
كلُّ جُرحٍ فيكِ
جُرحي!
كلُّ قرحٍ مسَّ شبرا منكِ
قرحي!
كلُّ ثكلى ذرَفت
من دمعِ قلبي
واليتامى افترشوا روحي
وناموا
وأنا سهرانةٌ
أتلو على الليلِ تراتيلي
وأستجديه
إشراقةَ صُبحِ
والدمُ القاني الذي خضَّبَ
هذي الأرضَ يا أمي
دمي

فلمَ استحللتِ يا أماه ذبحي!؟ (المعروف، 2023، ص. 13)

تختزل الشاعرة كل جراحات بلادها وتضمها بين دفتيّ فؤادها، فالجرح جرحها، والألم ألمها، والفقد فقدها، ما عاد في بلادها رخاء ولا ارتياح ولا ثراء، لا الشمس تشرق في بكورها، ولا القمر يضيء جمال ليلها، قلوب ممزقة، وأجساد مفرقة، ويتامى افترشوا صفحات بوح قصيدها وناموا، ومازالت الشاعرة تستجدي النصر والفرج وانبلاج فجرٍ جديد يحمل المسرات.

ويبدو في القصيدة الأثر القرآني بارزًا جليًّا، فقد ضمنت في قولها: (كلُّ قرحٍ مسَّ شبرا منكِ قرحي!) الآية القرآنية: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: 140]، وهي

سمة واضحة في كثير من قصائد الشاعرة.

وقد أشاعت كلمات (جرحي — قرحي – روحي — ذبحي) في امتدادها، وسمة البُحّة في حرف الحاء موسيقى داخلية مشبعة بالألم في النص، فتغدو الأصوات نفسها جراحًا ناطقة، وامتدادًا لنزف داخلي. وجمعت الشاعرة بين جرح وقرح الجسد، واقتراش الروح، وخروج الدمع من القلب، فلم تدع مادة ولا معنى في الإنسان جسدًا وروحًا إلا طالها الألم.

وفي صرخة مدوية جاء الصمود شعرًا، والنضال إيقاعًا، فقد طوّعت الشاعرة كلماتها وإيقاعها الداخلي بما يتلاءم وحالتها النفسية، و وطنيتها المتأصلة في الجذور، وحزنها العميق لهذا الوطن وما يعانيه من اضطرابات وأهوال وأزمات، تصرخ بأعلى نبرة في قصيدها سننتصر...يقينًا سننتصر...قريبًا سننتصر والله سننتصر:

«ويا وطني

يظنُّ الناسُ

بعضُ الناسِ

أنك سوف تنكسرُ!

ولكنّي

وإن قالوا

وإن ظنوا

يقيني يا عظيمَ البأسِ

أنك دونما شكٍّ

ستنتصرُ!!

قريباً سوف تنتصرُ

نعم واللهِ يا وطني

ستنتصرُ!». (روضة الحاج، 2011)

إن الشاعرة تتعالى على الواقع الأليم باستدعاء روح البأس لدى الوطن، وتطلق صرخة الانتصار لتوقظ همم أبناء الوطن، فاليقين بالنصر أقوى من الظن السيء من بعض الناس بأن السودان ستنكسر. ويتجلى اليقين في الحلف بالله عز وجل، وبجعل ذلك (قريبًا).

وحين تكتب الشاعرة عن الوطن تقتفي أثر سيدنا موسى عليه السلام، حين جاءه الأمر الإلهي بأن يخلع نعليه بالواد المقدس: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 12]، أراد ربه أن يباشر بقدميّه بركة الوادي المبارك، فثمة تشابه بين وادي سيدنا موسى عليه السلام ووادي وطنها الغالي.

ويلاحظ أن الشاعرة كثيرًا ما تستأنس بآيات من القرآن الكريم في قصائدها المتنوعة، إذ يعد جزءًا لا يتجزأ من خطابها الشعري، فهو يضفي على تجربتها الشعرية قبس من نور، وعمق في الشعور، وهذا الأسلوب دأب عليه كثير من الشعراء، فالشاعر عادة ما يعود بذاكرته إلى رواسب الثقافة المختزنة في ذهنه؛ ليعيد صياغتها صياغة جديدة تتلاءم وواقع الشاعر المعاش، وأحداثه الراهنة، وهو ما عبر عنه الشاعر والناقد الأمريكي (شبيلد ماكليش) في حديثه عن اصطياد الكلمات وتسخيرها «:فالشعراء يدأبون دائمًا على الخوض والاصطياد على حافة نهر اللغة البطيء الجريان علهم يعثرون على ما يمكنهم اصطياده وتسخيره لاستعمالهم الخاص» (الجيوسي، 1993، ص. 66)

تقول الشاعرة:

يا موطني

يا رائعَ القَسمَاتِ

يا سمحَ السماتِ

ويا ويا

أنا قد خلعتُ النعلَ

إذ ما جئتُ واديكَ المقدّسَ يا وطنْ

وإضافة إلى الحذف في (يا ويا) الذي يجعلنا نبني أفكارًا لا نهاية لها بادئين بروعة القسمات لنصل إلى قداسة الوطن التي تقتضي خلع النعل.

يظل الواقع الاجتماعي السوداني هو الهم الأول والأخير عند الشاعرة روضة الحاج، إذ شكّل كثيرًا من آفاق تجربتها الإبداعية، نجدها في هذه القصيدة تبكي أسفًا لسوء الحال والمصير، وتردي الأوضاع في موطن ولادتها، ومرافئ نشأتها مدينة (كسلا)، تقول في قصيدتها بعنوان (أواه يا كسلا):

يا صادحًا بضفاف النيل غنيني

واذكر ديار أليف جد مفتون

والورد يضحك والأنسام في دعة

فأين قرطبة في شهر تشرين

فجئت يا كسلا الخرطوم يدفعني

عزم أكيد له الآمال تحدوني

للفجر يطلع من توتيل مبتسمًا

وللأصيل إذا حياك يحييني

ولهف نفسي إلى رؤياك يظمئني

من يأتني قطرات منك ترويني

فجئت يا كسلا الخرطوم يدفعني

عزم أكيد له الآمال تحدوني

فهزني ألمي واشتـــد بي سقمي
واشتقت يا حلمي للأرض والطين
أواه يا كسـلا فالشـوق يزحمني
وذكرياتي بـــذاك الحي تعزيني
ولهف نفســي إلى رؤياك يظمئني
من يأتني قطـــرات منك ترويني
للقاش للفاتنات الخضـر يطربها
في الشط فوح أريـــج للبساتين
للفجر يطلع من توتيل مبتسمًا
وللأصيل إذا حيـــاك يحييني
(روضة الحاج، 2011)

تأوه موجع، وصراخ دامٍ (أواه يا كسلا) الشاعرة تعاني من حالة اضطراب وقلق، وهي تتنقل بين محراب الكلمات الشاكية، وقد ألهبتها براكين الأسى والحسرة والبكاء على لوحة الماضي المجيد، حيث الأرض الرؤوم تحضن طفولتها ونشأتها وشبابها، حيث الطين الذي يعد معادلًا موضوعيًّا لإثبات حقيقة أصل الإنسان، فالشاعرة تبكي حال شعبها وتفرقهم في الحاضر الأليم فذكرت الطين رمزًا للمساواة بين الطوائف البشرية في ماضي عهدها.

تتوالى صور الماضي في ذاكرة الشاعرة مشحونة بالوجع، وذكريات الحي، وإشراقات الفجر، وابتسامات الأصيل، للقش للفاتنات الخضر صورة بيانية وظفتها الشاعرة للتعبير عن الأشجار في خضرتها وجمالها وتمايل أغصانها طربًا من فوح أريج البساتين.

تظل السودان الشغل الشاغل لدى الشاعرة والحيز الأكبر من بوح قصيدها، والهم الرئيس الذي آثرت الشاعرة حمله على أكتاف كلماتها، فالصراع بما أفرزه من معاناة وأوجاع ومآسٍ أصبح مادة دسمة لإلهامها بالمضامين والرؤى، وهذا ما حدا بالشاعرة إلى إصدار ديوانها «ثم توليت للظل»، متضمنًا العديد من القصائد الوطنية.

1-2 القضايا القومية:

القومية هي شعور الفرد بالانتماء إلى أمته الكبرى، وتحمّله همومها وآمالها. وقد عبّرت روضة الحاج عن هذا الإحساس القومي في قصائدها من خلال استدعاء الرموز التاريخية العربية، وتجسيد هموم الأمة العربية بوصفها امتدادًا لمعاناة الوطن السوداني، فقد هامت على وجهها في الصحراء عند وادي عبقر، تستعير قصائدها من أفواه الجان تمشيًّا مع أسطورة قيام الجن بتلقين الشعر للشعراء في ذلك الوادي:

هوَّمتْ روحي عند عبقرَ
واستعرتُ قصائدي
من كلِّ مِصداقٍ فَطِنْ
لكنَّني
لَمَّا هممتُ بأن أقول
خجلاً توارتْ من سناكَ قصائدي
فالقول عندكَ
يستحيلُ إلى اندهاشٍ يا وطن!!
ماذا أقولُ
أمامَ عملاقٍ تحدّى
أن يكونَ سيادةً
أو لا يكونْ؟
ماذا أقولُ أمام وجهٍ
جمَّعَ الألحانَ والكلماتِ والإبداعَ والحُسنَ
التألُّقَ والجمالَ
فكان (شيئًا)
فوقَ ما توفي الظنونْ!
وطنَ الوجوهِ النيّراتِ الباسماتِ
الساجداتِ الغاضباتِ الثائراتِ
إذا نشازٌ شذَّ من بين اللحونْ
وطن الألى
قد علموا الناسَ المكارمَ
والمحامدَ
علّموهم
كيف أنَّ العهدَ إن ما كانَ عهدُ اللهِ
أبداً لا يُخانُ ولا يخونْ!!
وطن الذين يراقبون الدربَ
في شوقٍ إلى ضيفٍ
يقاسمُهم رغيفَ الخبزِ
والرزقَ الحلالْ
الناحرينَ حلوبةَ الأطفالِ إن عزَّ القِرى
الحامدينَ
الشاكرينَ بكلِّ حالْ
وأصيحُ يا وطنَ الجمالْ
كم قد سمقتَ على الجراحِ تبسُّماً

تُخفي به وجعاً عُضالْ...» (روضة الحاج، 2011)

إن روضة تعمّق حجم ما أصاب الوطن بتذكر سمات هذا العملاق، ثم تختار الكلمات بكل دقة وجمال، وتعدّد قيم النبل والجمال في هذا الوطن، والقوة والتعالي على الجراح، مع مراعاة التنوع بين طول وقصر الأسطر من كلمة إلى عدة كلمات، ويبقى أن حجم الألم لما يحدث بحجم مكانة هذا الوطن في نفوس أبنائه.

مازالت الشاعرة روضة الحاج تنزف ألما، وتئن وجعًا من حال شعبها ووطنها، وتشتكي من جروح عميقة لا تبرأ، وحال لا يهدأ، فقد طغى المرض والفقر والتشرد والنزوح من أوطانهم بحثًا عن ملاذٍ ومأوى يقيهم وطأة الحرب والنزاع. وقد تجلجل صوت الشكوى والأنين ببرقية عاجلة إلى الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد، إذ وظفتها الشاعرة واستلهمت شخصيتها، وأقامت الوشائج بينهما، وربطتها بقضايا أمتها وحال شعبها وتردي الحال فيها، فلا تكاد تخلو أغلب قصائدها الوطنية من استحضار شخصية الخنساء في خطابها الشعري:

تقول في قصيدتها « برقية عاجلة إلى تماضر الخنساء»:

«وطرقت يا خنساء بابك مرة أخرى

وألقيت السلام

ردي علي تحيتي

قولي فإني لم أعد أقوى على نار الكلام

فلقد بكيتِ خناسُ صخرًا واحدًا

والآن أبكي ألف صخر .. كلّ عام! (روضة الحاج، 2011، ص. 81)

فمنذ مطلع القصيدة تتبدّى جليًّا البنية الدرامية بجميع تشكلاتها بناءً ومضمونًا، « فالشاعرة اتخذت من (الخنساء) رمزاً حسيًا؛ لتعبر به عما يجيش في نفسها من أحاسيس نقلتها من الداخل إلى الخارج حيث يتم توصيلها عبر المتلقي، وقد ازدادت الرؤية الشعرية عندها تشابكًا وتركيبًا، وأصبحت أبعادها ومستوياتها أكثر تنوعًا، ولذا أدركت أنه لابد من الاستعانة بفنون أدبية أخرى تستعين بتقنياتها، وأدواتها الفنية في التعبير عن رؤيتها الشعرية، ومن هنا برز في قصيدتها عنصر الحوار الشعري، أو ما يسمى (المنولوج الداخلي) وهو تقنية من أبرز تقنيات اتجاه تيار الوعي في الرواية الحديثة الذي يكشف عن الكيان النفسي للأديب أو المبدع. وقد صبت الشاعرة ملامح الخنساء في قالب درامي قصصي حيث وظفت شخصية الخنساء لتكون رمزًا إلى وضعية معينة تتحقق من خلالها حركة إسقاط الماضي على الحاضر بقصد إغنائه وإثرائه ثراءً فكريًا وموضوعيًا. وقد ساعدت البنية الدرامية التي أخذت تتحقق في القصيدة على نمو العملية الاستلهامية في جانبها الفني التعبيري، فقد انتقلت بها من الغنائية إلى الموضوعية.

ولو أعدنا قراءة مفتتح القصيدة نجده قد حقق عنصرًا مهمًا من عناصر الدرامية في القصيدة، وهو أسلوب الحوار الذي تولد عن وجوده داخل القصيدة عدد من العناصر الدرامية كالسرد والحركة وتعدد الأصوات وغيرها من تلك العناصر» (الأمين، د.ت، ص. 12).

وإن كانت الخنساء حزنت على فقد أخويها معاوية وصخر، فإن روضة الحاج يتفاقم حزنها ويتجاوز الاثنين، حتى يشمل حزنها على كل فرد من أفراد الأمة العربية التي عانت من ويلات الحروب:

قولي خناس

إن حزني قاتلي حتمًا .. فحزن الشعر سام

حزني على الخرطوم أم حزني على الجولان أم حزني على بغداد

أم حزني على القدس المضرج بالنجيع وقبلة البيت الحرام

أسفي على كل العبارات الخواء

أسفي على حزن النساء

أسفي على طفل يتمتم قبل أن يمضي

ويستجدي أيا أمي الدواء

أسفي على امرأة يضيع صراخها

بين ابتسامات الخنوع

وبين صالات الفنادق واللقاءات الرياء (روضة الحاج، 2013، ص.81).

تتشابه معاناة الشعوب العربية في تكوينها الداخلي وتجلياتها المختلفة، فنزيف الخرطوم هو ألم بغداد ذاته والجولان والقدس.

وبقدر هذه الأنّات المدوية، والصرخات الموجعة التي أطلقتها الشاعرة لن تجد جوابًا في مجلس الأمن، وفي هيئة الأمم المتحدة، بُحَّ صوتها، ومات بوحها، وعادت خالية الوفاض:

خنساء ما جربت كيف يصاب حزنك بالصمم

ويبح صوتك من مناداة العدم

ويضيع ثأرك خاسئا

في مجلس للأمن أو في هيئة تدعى الأمم»(روضة الحاج، 2013، ص.81).

تنصدم الشاعرة بالواقع، وتصاب بخيبة الأمل، وتفقد أي محاولة لإصلاح الأوضاع؛ لذا أطلت من مخيلتها فكرة الهروب من عذابات الواقع الأليم، ولكن هيهات!

قولي خناسُ

أين أذهب من دمي

وعروبتي

وصهيل أشواقي إلى مجد العرب

ولمن سآوي حين يشتد الجوى

خنساء قد قطعوا الطريق إلى الهرب

دخلوا إلى خدري

وخدر شقيقتي

ورواق جدي

وانتشوا حد الطرب

ناموا على عرش الخلافة آمنين

فأهلها حقنوا بمصل اللاغضب

خنساء متعبة أنا حد التعب» (روضة الحاج، 2013، ص.81).

2 . المرأة والصراعات.

تعلو صيحات الصراع لتهز أركان البلاد، وتثير مشاعر روضة الحاج وتعلو نبرات بوحها، فهي الشاعرة السودانية التي بزَّت أقرانها من شعراء العصر الحديث، واختطت لنفسها مسارًا متألقًا في إبداعها الشعري، فكان لها سمتها الخاص وقدرتها الرائعة في استنطاق الأحداث، ومسايرة الواقع، والتعبير عن القضايا السياسية؛ لذا أبدى الناقد صلاح فضل إعجابه بمعجمها الشعري، وإبداعها الفني، إذ يقول: «روضه الحاج موهبة شعرية ناضرة، طالعة من أحراش السودان الساخنة، بحرت مستمعيها بتألقها الإبداعي وجسارتها السياسية، وقدراتها الفنية على البوح الجهير بمواجع الوطن العربي كله، بعد أن نثرت حشاشة مشاعرها الأنثوية في غابة الرجال المتشددين. وهي – فيما أعرف – أصفى صوت نسائي ينبثق من جنوب الوادي الخصيب فيحيل خضاب النساء إلى وشم يضئ الوجدان» (روضة الحاج، 2013، ص.85).

ومن وسط تلك الصيحات يخرج للنور ديوان «ثم توليت للظل» تجربة إبداعية متفردة تزامنت والأوضاع المتردية في السودان ونار الصراع حامية الوطيس.

وعنوان الديوان أول ما يقع عليه النظر، وتتفاعل معه حواس المتلقي، إذ يمتلك دلالة جمالية في التعريف المختصر لنصوصه الشعرية، أيضًا مما يشدُّ انتباه المتلقي استئناس الشاعرة بآيات الذكر الحكيم واستثمار مفرداته في قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: 24]، فكأنها تستجدي الراحة والهدوء والطمأنينة بعد رحلة شاقة من المآسي والحروب. وكل أملها بأن تنجلي الغمة عن شعبها المكلوم.

ولا يفوت التنويه بإشادة الناقد عبد الله الغذامي بشاعرية روضة الحاج من خلال هذا الديوان، حيث كتب في آخر صفحة الغلاف: «ميزة روضة الحاج أن قلبها هو الذي ينطق ويكتب وليس قلمها ولا لسانها». (روضة الحاج، 2013، الصفحة الأخيرة من الغلاف)

روضة الحاج تصنع للشعر روضات، وتبني للفكرة جولات يتحداها الشعر وتتحداه فينتصران معًا». (روضة الحاج، 2013، الصفحة الأخيرة من الغلاف)

«في نصوصها صراع يرفض انكسار أي طرف من أطرافه تربت يداكِ، تربت يداه وانتصرت القصيدة انتصرت».(روضة الحاج، 2013، الصفحة الأخيرة من الغلاف)

ويقول أيضًا: « روضة شاعرة تعيد كتابة الأشياء بحس ناقد وإن كان شعرًا وبحس شعري بمعنى الرؤيوي الصادم للتسليم تصنع قلق القصيدة وقلق التفكير». (روضة الحاج، 2013، الصفحة الأخيرة من الغلاف)

«روعة خضراء تقلب صفرة الأشياء، قاسيةٌ هي كلماتك يا روضة كقسوة الماء حين يفتت الحجر الصلد!» (روضة الحاج، 2013، الصفحة الأخيرة من الغلاف)

1.2 الرؤية الأنثوية للصراع وحبّ البقاء:

في نصوص روضة الحاج صراع يرفض الانكسار، يرفض الهزيمة، بل يرفض الموت والعدم، تطالعنا في قصيدة «عروج إلى مقام المعنى» (روضة الحاج، 2023، ص. 23–31)، وقد تملّكها البوح وروح القصيد، تصارع من أجل بقاء النفس الشعري حيًّا لا يموت، ذلك النفس الذي تولد من رحم المعاناة والألم، تريده أن يحلّق بأجنحته آفاق الوطن وخارج الوطن؛ ليعبر عن واقعه الأليم. فالشعر منذ أقدم العصور الأدبية مقرونٌ دائمًا بالوقائع والأزمات، معبرًا عن حالها، ومصورًا جل تفاصيلها، وشؤونها، ومآسيها الناجمة عن تلك الأزمات، يقول ابن رشيق: «وكان الكلام كله منثورًا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام» (عبد الحميد، 1981، ص. 20).

شخصت الشاعرة قصيدتها في جسد إنسان للبوح والتعبير والتحرر من قيود القهر، فيكون لها قلب وذاكرة ويدين وفم وجناح «الجناح يطلق لغة حقيقة على يدّ الإنسان وعضده وإبطه» (المنياوي، 2011، ص. 106)، ولكل عضو فيها دوره المميز في الانعتاق من بؤرة الخوف؛ لتصوير الحدث ووصف ملامحه:

أريد لهذي القصيدة

ألّا تموت

أريدها أن تكون بأجنحة

وبقلب وذاكرة

ويدين

وفم!

كررت اليدين للتأكيد وإبراز مغزى القصيدة، إذ جعلتهما نقطة ارتكاز في معجمها الشعري، يتفق والغرض الدلالي الذي ترمي إليه الشاعرة:

بل بيدين

لتنفض عن نفسها كل ما لا يليق

وكي تتسلق حبل النجاة إذا أُلقيت

ذات غدر

بجب العدم

يدان تنفض عن وطنها شوائب الاتهام والظلم، وتمسك بحبل النجاة وتضمن لنفسها الحياة، إذا غدر بها العدو وألقى بها في بئر العدم والنسيان. فكأنها بتوظيف لفظة «الجب» تستثمر قصة سيدنا يوسف حين رماه أخوته وألقوه في غيابة الجب، ولكن إرادة الله فوق كل شيء. وقد اختارت الشاعرة أن تتحدث عن القصيدة بلغة المؤنث، لتتجسد الآلام الأنثوية الراغبة ذات غدر أن تتعلق بحبل النجاة من الجب.

ثم أرادت الشاعرة تثبيت الموقف النفسي والانفعال الشعوري من خلال عقد وشيجة وصلات بين حال وطنها، حين أراد الظالم الغاشم قمع الشعب ومحاربته ورغبته الملحة في نفيه، وحال سيدنا يوسف عليه السلام حين حقد عليه أخواته بسبب تعلق والدهم به وقرروا نفيه في الجب، ذلك تفسير رؤياه ذات ليلة حين قصّه على والده، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ 4 قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف آية (4-5)]. تقول الشاعر في قصيدتها:

فإن لها إخوة

ربما أخطأت

حين قصّت عليهم رؤاها

لكم كان قصُّ الرؤى موجعًا

ولكم

بل بيدين

لكي تتستَّر حين تُعرَّى

وكيما تُرَبّت

بالحبِّ هونًا على كتفِ الأصدقاء

وكي تتشبَّث بالراحلين

فإما بقوا معها

أو مضتْ معهم

إن كلَّ جراح القصيدة

إفلاتُها لحظةً

كان فيها التشبّثُ منجىً

لها ولهم

مازالت سلسلة تكرار اليدين تنشال في القصيدة دلالة على الاحتواء، وتعانق روح الوحدة العربية، تستجدي القصيدة الكلمة الأنثى عطف الأخوة والأصدقاء:

بلى بيدين

لكيما تجيد العناق

فلا للقصيدة إن لم تُعانق

ولا للقصيدة

إن لم تضمْ!

ولا للقصيدة

إن لم تُجِرنا

ونحن نموتُ من الحزن

وهي هنالك في برجها

تتأملنا

في حياد الصنم!

القصيدة عابرة، كأن نجاتها نجاة للحقيقية وشحذ للأجيال القادمة؛ كي ينتصروا إن كان هذا الجيل قد انهزم.

تُلح روضة الحاج إلحاحًا شديدًا بأن تبقى القصيدة على قيد الحياة، وبأن تكون لديها أجنحة تحلق هربًا من تردي الأوضاع السياسية، وتوقًا للانعتاق من أسر الفقر والمجاعة والمرض وتراكمات الحرب بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، وما نتج عنها من اشتباكات راح ضحيتها الشعب السوداني:

أريد لهذه القصيدة ألّا تموت

أريد لها أن تكون بأجنحةٍ

كم تضيق الحياة بمن ليس يملكُ

أجنحة كي يُحلق

منفلتًا من حدود الزمان

ومنفلتًا من حدود المكان

ليبعدَ يبعدَ

حتى يُرى مثل حُلمْ

إن الانفلات من المكان والزمان هو حلم تحقيق الحرية، هو حلم البقاء، وتحقيق الرجاء ألا تموت القصيدة.

تريد الشاعرة كذلك للقصيدتها أن تكون بقلب ينبض بمشاعر لا تفرّ ولا تُستفز، ولاتعاني عذاب الحزن والفقد، وصف الشاعر الناقد مصطفى سند شعر روضة الحاج في مقدمة ديوانها (مدن المنافي)،

بقوله: « إنه شعر يبتدئ حيث ينتهي...القصيدة فيه لا يسكت صوتها حين يصمت النص... ولكنها تشرع عندئذ في التعالي لإثبات سطوتها وسلطانها على المتلقي» (روضة الحاج، 2007، ص.3):

أريد لها أن تكون بقلب كقلبي

ولكنه لا يفرّ ستفزُّ

ولا يتلوّى من الحزن

لو عبرتْ صورةٌ ما

أو ارتطمتْ كلمةٌ ما

أو اطفأتْ شمعةٌ ما

أو اشتاق للراحلين الذين

مضوا بالحياة

جميع الحياة

وما تركوا غير هذا الألم! (روضة الحاج، 2023، ص.28)

ويبقى القلب صنوان الذاكرة، اللذان يشكلان ملامح وسمات قصيدة روضة الحاج على قيد الحياة، ذاكرة مطمئنة، مرتبة، ناكرةٌ للخوف والحزن واللحظات التي كسرت بأوجاعها أرواح بريئة:

أريد لهذي القصيدة ذاكرةً

تتخيّرُ ما نتذكّره

لا تحاصرُ يومي بما ظِلتُ أمحوه

بالماء والدمع والصمت

بالدعاء وهذا الندم

تلك مشاعر جياشة رائعة حين يقرأها المتلقي فكأنه يخاطب روحه (اللهم اجعلها بردًا وسلامًا)، رغبة ملحة في التحرر من ثِقل الذاكرة، لا في استحضارها كلما اجتاح الشوق وفاض الحنين، بل أصبحت الذاكرة عبئًا وجدانيًّا يعيد إنتاج الألم؛ لذلك تتمنى لها ذاكرة قادرة على التخلص من وجع يحاصرها، وألم يلازمها. وتأتي عبارة « لا تحاصر يومها» في صيغة النهي؛ لتعبر عن رفض الشاعرة لهيمنة الماضي على الحاضر، وتحرره من قيوده النفسية، في إطار صراع داخلي بين الاستمرار والتجاوز:

بذاكرة تنتقي ما يُرتّبني

ما يُطمئنُ روحي

بذاكرةٍ تتنكّرُ للخوف والحزن

واللحظات التي كسرتنا

وتمحو من العمر كلَّ الذي

أوجعتنا به موجعاتُ الحياة

من الهم والغمِّ

والغمِّ والهمْ

أريد فمًا للقصيدة

كيما تُقرّرَ عن قدرةِ صمتها

ولتختار

إن الإشارات أغنى كثيرًا

ففيها سنُدرك ما ليس نُدركه في الكلِم

لحظات الارتباك بين الشك والخوف ورغبة البقاء، فتنتقي ما تريد أن يبقى وتتنكر لما يخيفها، تمحو الألم ليبقى الأمل، وفي ختام النص توجز الشاعرة تلك الحواس النابضة التي جسدتها؛ لتكون سمات قصيدتها:

أريد لهذي القصيدة ألا تموت

ولكنني أعرفُ الناس

أن القصائد كي لا تموت

فلابد من أن تكون

بذاكرة لا تخون

يدين

فم يُحسنُ القول والصمت

أجنحةٍ قد تطير

ولكنها لا تضلُّ

لتبعد تبعد

حتى تُرى مثل الحلم

وقلب يفزُّ كقلبي تمامًا

نعم! (روضة الحاج، 2023، ص.30-31).

المعاني الكثيرة التي توردها الشاعرة، لتحث على بقاء القصيدة بقاء ذاتها وبقاء الذاكرة، فكيف يعيش الوطن بلا ذاكرة؟ وكيف يُبنى الحاضر دون ماضٍ يُسنده؟ وكيف الشفاء بغير معرفة الألم؟

وتنقلنا الشاعرة لعوالم أخرى من الألم « مشي على الجرح» (روضة الحاج، 2023، ص. 30-31) بنبرة حزن موجعة على وطنها تعلن روضة الحاج:

أتألم

وأكادُ من فرط الذي في الروح

أحيانًا — على صبري —

أكاد من الجوى

أتهشّمُ!

وبداخلي

تتصارعُ الأضداد

ترتبك الرؤى

ويشدني طيني القديم المبهم

أبني كهوفًا كل يوم داخلي

وأدسُّها لتدُسَّني

لكنها

تتهدَّمُ!

وتضيق بي هذي الحياة

على رحابتها

تطاردني المواجع في

فلاة العمر مثل غزالةٍ

لكنني وكعادتي

في الحرب لا أستسلمُ!

أتألم

وأفرُّ كالمعتادِ

للشعر الذي أتعبتُه

لكنْ يضنُّ المعجمُ!...

أتألم

أمي تقولُ لي الحياةُ

قصيرةٌ

فتحمَّلي

وتجمَّلي

وتعلَّمي

حتى متى يا أمُّ

في هذي الدُنى أتعلَّمُ؟! (روضة الحاج، 2023، ص. 37–40).

وتستعمل هنا نغما ثقيلا (فتحمَّلي، وتجمَّلي، وتعلَّمي) ثقل الإدغام، وثقل الأفعال (تهدَّم، تهشَّم) تنقلنا الأسطر بسرعة في قصرها الواضح وآهاتها، ومع ذلك (يضن المعجم) ولا يسعف بالكلمات.

2.2 الصراع مع الآخر الذكوري:

تحضر صورة الآخر (الرجل/المجتمع) باعتباره قيدًا أو خصمًا، وغالبًا ما ينال المرأة ظلمًا خاصًا في الصراعات فهي جانب ضعيف يمكن انتهاكه بشهوانية، تقول:

«دخلوا إلى خدري

وخدر شقيقتي

ورواق جدي

وانتشوا حد الطرب»

في هذا المقطع تتضح صورة الانتهاك الرمزي لخصوصية الأنثى، حيث يصبح البيت والخدر والجذور فضاءً منتهكًا، ويغدو صوت الشاعرة احتجاجًا ضد قوى القهر الذكوري والسياسي معًا، ولنتأمل اختيار الكلمات فخدر بما له من دلالة الحفظ والصون يعني أن الصراع طال البيوتات المصونة، مما يعمق إدانة الانتهاك، ويجذر ألم المرأة، ولنتأمل هذا التعبير (وانتشوا حد الطرب) وهو تعبير يطلق العنان لخيال القارئ ويواري خجلاً وأسى من الانتهاك، ويواري نوعيته لكنه لا حدود لأساه. وهذا المقطع تعبير عن الصراع الأزلي بين المرأة الأبية والذكر الشهواني الجارف.

البناء الفني والجمالي.

العمل الأدبي عمل إبداعي، والشعر فن لفظي ينبع من قلب ويمتلئ بالعاطفة والفكر ويتركب من الألفاظ والمعاني والصور، وتسري فيه موسيقى الكلمات والأصوات والأوزان، بوصفها إشكالية بنيويّة ملازمة للشعر، ودراسته من أي جانب من الجوانب تشتبك مع بقية جوانبه، فهو على الرغم من تقسيمه في الدراسات الأدبية، يظلُّ عصيًّا على الانفصال عن تشكّله الكلي المشكِّل لجماله الفني.

1.3 البنية الإيقاعية:

اعتمدت الشاعرة في ديوانها على تكرار التراكيب والصور الشعرية لتعزيز الإيقاع الداخلي للنصوص، مثل تكرار النداءات (يا وطني، يا بلادي) وتكرار الأفعال (ستنتصر — ستبقى — ستعود)، مما أضفى على النصوص طابعًا إنشاديًا يوازي إيقاع الأناشيد الوطنية، وكما في قولها:

« هوّن عليك

فلستُ أوّلَ عاشقٍ

يُبدَّل!

هوّن عليك

فلستُ آخرَ عاشقٍ

مثل النوارس يرحل»

(روضة الحاج، 2023، ص17)

افتتح النص بفعل الأمر «هوّن عليك»، وهو ليس أمرًا قهريًا، بل نبرة سيطرة وجدانية هادئة، توحي بأن الشاعرة في موقع التعالي عن الانكسار، والتفوق الوجداني. ثم يتكرر فعل الأمر (هوّن) محدثًا

إيقاعًا دائريًا يؤكد حسم القرار، ورسوخ الاختيار. وتفعيلة (متفاعلن) المتلاحقة بحركاتها، وإن سكن الثاني منها أحيانا.

وتأتي صورة النوارس لتمنح النص بعدًا رمزيًا؛ فالنورس طائرٌ يتَّسم بالتحرّر والتنقل، لا يعرف الاستقرار، مما يجعل الرحيل جزءًا من هويته.

وكذلك تكرار الفعل المضارع في قولها:

أُعطي

وأُعطي

فوق ما لا يُستطاعُ

وأصبرُ

(روضة الحاج، 2023، ص97)

يدل التكرار في « أُعطي وأُعطي» على أن العطاء سمة ذاتية متأصّلة في ذات الشاعرة، وحالة دائمة لا تقترن بشرط، ولا ترتبط بالردّ.

ومن جانب الإيقاع الخارجي وظفت الشاعرة البحور الشعرية التقليدية، خاصة الطويل والكامل والوافر، وأدخلت عليها لمسات معاصرة من خلال التدوير وكثرة الجمل الفعلية التي تخلق حركية وديناميكية، منها على سبيل المثال قولها:

أقسو على نفسي

لأجلِكَ

كُلَّ مرّة

وأُعيدُ أخطائي القديمةَ

كَرَّةً في إثر كَرَّة

لم أُبقِ من عذرٍ

لأخدعَني به

نفدَتْ معاذيرُ المجرَّة!

(روضة الحاج، 2023، ص101)

النص يقوم على بحر المتدارك(الخبب)، وتفعيلته: فاعِلُن/ فاعِلُن/ فاعِلُن وأحيانًا تأتي بصيغة: فَعِلُن/ فعِلُن، وهذا البحر يمنح النص طاقة إيقاعيّة، ونبرة انفعالية عالية قادرة على تصوير التوتر النفسي، والصراع الداخلي، وتكثيف لحظات البوح الوجداني التي تنسجم مع البنية الدلالية للقصيدة.

ومن جهة أخرى استثمرت الشاعرة الإيقاع الداخلي القائم على التنغيم، وتوزيع الحروف، والتناظر الصوتي (مثل: الحزن/الوطن — الألم/القلم)، مما جعل النصوص مشبعة بالموسيقى الشعرية التي توازي حدة الصراع النفسي والوجداني.

2.3 الصورة الشعرية.

تسهم الصورة الشعرية في تشكيل الرؤية الوجدانية، وتجسيد الصراع النفسي والاجتماعي في الديوان من خلال أنماطٍ متنوعة، منها على –سبيل المثال –: –تكثيف التجربة الشعورية عبر رموز متكررة تواتر حضورها في الديوان: الظل: رمز للانسحاب والسلام النفسي، القلب: رمز للذات الوجدانية بما تحمله من صراع وخيبة وعطاء، القهوة: رمز للصفاء الوجداني، والتأمل العميق، الرحيل: رمز لتحول المسار العاطفي، واتخاذ القرار الحاسم.

–الصورة النفسية: حيث تجسّد بواطن القلب بصورة محسوسة، مثل: الصبر بوصفه حبلًا يُمدّ ثم يقصر (روضة الحاج، 2023، ص 98)، والذكريات كخفافيش معلّقة في كهف الروح (روضة الحاج،2023، ص55)، والقلب كبازٍ معصوب العينين (روضة الحاج،2023، ص98)

الصورة التشخيصية: تبرز ملامحها حين تمنح الشاعرة المعنويات صفات إنسانية؛ لتوثيق الصلة بين القارئ والتجربة الشعورية. فالقلب يُبصر ويُخطئ، والوقت ينتظر، والقصيدة تغسل وتمسّد، والجراح تدلّ وتتكلم.

وقد اضطلع الخيال في شعر روضة الحاج دورًا كبيرًا في تكوين الصورة الفنية في أغلب قصائدها، إذ رصدت لنا في قصيدتها (توسّل!) صورة تشخيصية للوطن خلعت عليه ملامح الذات الأنثوية، فهي تتوسله وترجوه بأن لا يضعف وتنحني قامته، ويتوقف عن الكفاح والإصرار؛ رغبةً في تحقيق الأمن والأمان:

أرجوكِ

لا تتوقّفي

شقّي عباب التيه

واثقةً

ولا تصغي لمن هتفوا

قفي!

لُمّي نثارَكِ

واستقيمي

وامنحي

فوق استطاعة قلبكِ المتلهّف!

لا تسألي

من غادروكِ

وبدّلوا

وتنكّروا

لِمَ غادروكِ وبدّلوا وتنكروا!

ما ضر لو لم تعرفي!

تتوسلها بأن تتجاهل وتغض الطرف عن كل من غادروها وبدّلوها وتنكروا لها، وألا تسأل عن الحيثيات والأسباب:

والجرح؟

أدري أنّه

وجعٌ جليلٌ

أخضر

لم يشتفِ

سيظل ينزف

ربما عُمُرًا

وأيُّ جراحنا

لم تنزفِ! (روضة الحاج، 2023، ص. 60-61)

واستدعت مرحلة الحزن والقهر التي تعيشها الشاعرة وسط أحداث الأزمة السودانية أعظم شخصية في الحياة (الأم) وقد كانت تخاطبها بنبرات موجعة، وتجيبها عن حال جروحها وجروح شعبها بسؤال مضمر: هل برأت جروحك؟ (بلى أماه) (روضة الحاج، 2023، ص.77-80):

بلى أماه لم تبرأ قروحي

ولا شُفيت من الأوجاع روحي

وقلبي لم يزل يا أمُّ يعدو

على السنوات كالمهرِ الجموح

يُصرُّ على الذي علَّمتِنيهِ

فيستعلي على الزمن القبيح

كأن دروب هذا العمر تشدو

(مكانكِ تُحمدي أو تستريحي)

وعمدت كذلك إلى تشخيص أوجاعها على أنسنة الجمادات تبث فيها المشاعر والعواطف المختزلة، وعذابات الجروح النازفة؛ لتشكل نصًّا نابضًا بالحيوية والحركة، تبدّت هذه التوليفة في قصيدتها (دفتر ... ونوتة ألوان) (روضة الحاج، 2023، ص. 165-166) تقول فيها:

لو كنتُ أعزفُ

لأقتسمتُ مواجعي هذي

مع النايات

تجبر خاطري

حيث شخصت «النوتة» في صورة إنسان يقتسم معها المواجع ويجبر خاطرها، إن نفخ الناي كالنفثة التي يذهب بها الموجوع ألمه، وهو يتقاسم الحزن مع صديق صدوق.

أضف إلى ذلك الدفتر كي ترسم أحزانها باللون الباهت الممتد مد نواظرها، أصبح كل شيء في هذا الوطن باهت لا حياة فيه ولا جمال جرّاء الحروب والأزمات:

«لو كنتُ أرسمُ

لا فترعتُ طريقةً أخرى

ولاستدرجتُ سرَّ اللون

واستبدلتُه بالباهت الممتد

مدَّ نواظري»

تتمنى الشاعرة بعد ذلك لو تحسن الغناء، وتشدو بأعذب الألحان لتنتصر على الجوى، ثم تحلق بعيدًا نحو الحلم مثل درويش أسير آسر، وكأنها تستحضر شخصية الشاعر محمود درويش، إذ ارتبط اسمه بقضية فلسطين المحتلة وأصبح في الشعر العربي الحديث رمزًا لتلك القضية حتى أطلق عليه شاعر المقاومة:

لو كنت أحسنُ أن أُغنِّي

لا نتصرتُ على الجوى

وأنا أُحلّقُ

مثل درويش

أسير آسرٍ

لكن

نصيبي كان هذا الشعر

يا ويحي

متى حنتِ الحياةُ

على مواجعِ شاعرِ! (روضة الحاج، 2023، ص. 166)

اللغة والانزياح:

لغة روضة الحاج مشبعة بالانزياحات البلاغية (الاستعارة، الكناية، التشبيه)، وتأتي محملة بشحنة وجدانية قوية. فهي لا تكتفي بالبوح، بل تصوغ البوح في لغة مشحونة بالصور والانفعال، مما يجعل قصيدتها قريبة من القارئ، دون أن تفقد عمقها الفني.

وعرف النقاد الانزياح بأنه: «الانزياح انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يتبين في تركيب الكلام وصياغته على أنه نظام خارج المألوف خاضع لمبدأ الاختيار، فاختيار الألفاظ وتركيبها في سياق أدبي تجعل للدال عدة دلالات من هنا يخترق القانون ويصبح للدلالة الأولى إمكانية تعدد المدلولات فتصبح به اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل وإنما غاية في ذاتها لتحقق الشعرية

والجمالية» (نوار بوحلاسة، 2012، ص.18) هذا التعديل لمسار الكلام وجعله ينحرف عن المسار المباشر للدلالة عن المعاني، أشرك عقل المتلقي في فهم عملية الإبداع، وجعل المعاني والصور أكثر رونقًا،

فنجد الاستعارة المكنية في قولها (يا بلادي، يا وطني) فجعلت الوطن ينادى كالإنسان ثم رشحت الأولى بقولها: (كل جرح فيك) والثانية بقولها: (تنكسر – تنتصر). فبدل الدلالة المباشرة (وطني مجروح) جاء الانحراف في الأسلوب معطيًا بعدًا آخر، تمثّل في تشخيص الوطن بوصفه كائنًا حيًّا يمتلك جسدًا من لحم ودم، وقلبًا يخفق، ومشاعر تتألم، وفي قولها: (قولي فإني لم أعد أقوى على نار الكلام) تشبيه الكلام بالنار بجامع حرقة كل منهما، فالكلام المؤلم محرق كالنار، تصل الشاعرة هنا إلى ذروة الانكسار والضعف النفسي، فلم يعد الكلام وسيلة انعتاق، بل شكلاً من أشكال الاحتراق الداخلي، وقولها: (والآن أبكي ألف صخر) فشبهت من مات في الصراعات بصخر أخي الخنساء بجامع كثرة البكاء عليه والأسى لفقده، في استعارة تصريحية. لها أبعادًا أخرى، فكل من يعرف كيف وصفت الخنساء صخرا؟ وكيف بكته؟ وعظم المصيبة فيه يدرك تعاظم المصائب فيمن تبكيهم روضة الحاج.

والكناية في (دخلوا إلى خدري – وخدر شقيقتي – ورواق جدي) كناية عن الاستباحة وغياب الرجل المدافع وبقاء الشيخ العاجز، وضعف المرأة عن الدفاع عن الحرمات أو نفسها. والكناية هنا طريقة الشاعرة في التعبير عن الألم الذي لا يمكن وصفه، ويشعر بالخجل، ويصعب تذكره والاستشفاء منه، التلويح هنا أعظم أثرًا وإنسانية من التصريح، والانزياح هنا من ألطف ما يكون تعبيرًا عن المشاعر، وبذلك تتلون لغة الشاعرة بالكثير من الصور البيانية.

3.3 التناص آلية الشاعرة لإنتاج الدلالة الطريفة:

تسعى الشاعرة دائمًا لشحذ ملكتها الفنية، وإثراء معجمها الشعري، وتكثيف المعنى بالدلالات، من خلال استرفادها بالنصوص الشعرية التراثية، والتناص هو « مجموعة من النصوص التي تتداخل في نص معطى». (نور الهدى لوشن، 1424، ص 1022) فالشاعرة « لا تكتفي بإعادة النص الشعري كما هو، بل تتعامل معه تعاملاً حركيًا تحويليًا لا ينفي الأصل، بل يسهم في استمراره جوهرًا قابلاً للتجديد من خلال امتصاصه، وهذا النوع من أساليب الاستدعاء أعلى وأكثر قدرة على خلق شعرية في النص الجديد» (الأمين، 2022، ص 19)

ففي قولها: (مكانك تُحمدي أو تستريحي) استحضرت الشاعرة معزوفة رائعة طالما رددتها الألسن عبر الأزمان، البيت المشهور من قصيدة عمرو بن الإطنابة:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى إِبَائِـي

وَأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ

وَإِعْطَائِي عَلَى المَعْسُورِ مَالِي

وَضَرْبِي هَامَةَ البَـطَلِ المِشِيحِ

وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ

مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

لأَدفعَ عنْ مَكَارِمَ صَالِحَـاتٍ

وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

(البحتري، 2007، ص.39)

فالشاعرة رغم كل الأزمات تحاول جاهدة توطين نفسها على الثبات والعزم في كل مكان تحلُّ فيه، كل أرض رحّبت بها، وأهلها كل من واسوها جروحها، تلك هي لحمة الوحدة العربية الإسلامية في أضيق وأحلك الظروف:

وقلبي لم يَزَلْ يا أمُّ

يعدو على السنواتِ

كالمهرِ الجَموحِ

يُصرُّ على الذي علَّمتِنيهِ

فيستعلي على الزمنِ القبيحِ

كأنَّ دروبَ هذا العمرِ تشدو

(مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي)

مكاني

كلُّ أرض رحبت بي

وأهلي كلُّ من واسوا جروحي

ويا أمي

ثقيلٌ حمل روحٍ

يضيق بها مدى الكون الفسيح

والتناص هنا اجترار للشعر بلفظه ومعناه، وهو أحد مستويات التناص. (الصديق، محمد عبد الله،2021، ص. 99)

ليس هذا فحسب، بل استلهمت الشاعرة كذلك من سيرة النبي –صلّى الله عليه وسلّم– حين نزل عليه الوحي، فأصابه الخوف عبارة (دثروني) بتكرارها الوارد في السنة النبوية، وهو تكرار دال أولاً على شدة الحاجة للطمأنة، وثانيًا على استلهام مشهد عظم الموقف الذي جعل النبي يطلب التدثير، وكذلك روضة التي (عاث) البرد بكل (سوحها) فالتكرار ودلالة الألفاظ، واستلهام المشهد من خلال التكرار تعاونت في إبراز المعنى والصورة:

أميمة دثّريني دثّريني

فإن البرد عاث بكل سوحي

وقد بلغ افتنان الشاعرة بنداء والدتها بأكثر من صيغة (أماه– أمُّ–أمي–أميمة تصغير أم)؛ لتمنحها بُعدًا جديدًا، وتضفي عليها دلالة

الشمولية والاكتفاء، مازالت القصيدة تزخر باستدعاء الشخصيات التراثية، وذلك بتوظيف شخصية الشاعر امرئ القيس ومطلع معلقته المشهور:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ.....بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (امرؤ القيس، 2022، ص.29)

تقول الشاعرة وهي ذات امرئ القيس تلبّس الأنثى للذات المحملة بأوزار الصبابة والحنين للذكريات:

أنا وحدي تمامًا في فلاةٍ

أصيح (قفا) كأني (ذو القروح)

بقلب لم يعُد فيه مكان

صحيح كيف يُدعى بالصحيح؟

طموحي أن أُحلّق في الأقاصي

بعيدًا إنه أقصى طموحي!

فأوجع ما بظهري من رماح

رماها من أُفدّيهم بروحي

وأقسى ما بصدري من سهامٍ

بأيدٍ كنتُ أفديها بروحي

وأعمق ما بقلبي من جراحٍ

هداياهم وهم قلبي وروحي (روضة الحاج، 2023، ص. 79–80).

تكررت (روحي) واستغرقت المقطع؛ للتأكيد وتسليط الضوء على نقطة حساسة أوجعتها، وهي الوحدة والغدر.

وحين الحديث عن الوطن تلتمس الشاعرة الشعور بالألفة والانتماء والمحبة، وتدرك الوشائج الوطيدة بين النسب العائلي والنسب الإقليمي فكلاهما يمتلكان سمة العطاء والأمن والأمان، لذا تكرر روضة الحاج في أغلب قصائدها نداء (الأم) بحثًا عن قلب رؤوم وحضن دافئ يخفف آلامها وينصت لبوحها، ويستوعب ما بين سطورها تقول في قصيدتها (تحمّل) (روضة الحاج، 2023، ص. 107–109):

وكنتُ

أُخبِئُ عن عين أمي الجراحات

أستُرُها بالحكايات

والضحك المستعار

أُواري

بكل قواي الندوبَ التي

ثقّبت كُلَّ شبرٍ بروحي

وما كنتُ أحسبُني

لا أواري!

أقول لها كل شيءٍ بخيرٍ

وأضحكُ

بينا تغوصُ بخاصرتي

أرمُحُ الانكسار

وحين أظنُّ

بأني (خدعت) التي

عجنت طينتي بالصفاء

وظلّت تُعلّمني

صبرها ساعة ساعة

وتشدُّ إزاري

وجنّبتها حمل همي

وحزني

يباغتني صوتها

ما هنالك يا عمر عمري؟

فيهوي ستاري (روضة الحاج، 2023،ص. 109)

فالمعاني والألفاظ التي شكّلت بنية النص الشعري، أزاحت الستار عن مشاعر وجدانية مليئة بالحزن المرارة والقهر والانكسار برزت من خلال النسق الغنائي الدرامي والحوارات المتبادلة بين ثنائية تحققت من خلال علاقة الذات بالآخر، حتى بدت أحزانها وأوجاعها جزءًا لا يتجزأ من حياتها، مهما تواريها عن الأعين ستظل ندوبها جلية في قسمات روحها وملامحها.

وكذلك اعتمادها على استدعاء معاني بعض الآيات القرآنية، منها:

استدعاء صورة «جب العدم» التي تحيل إلى قصة يوسف عليه السلام، لكن الشاعرة تمنحها بعدًا وجوديًا معاصرًا:

«وكي تتسلق حبل النجاة إذا أُلقيت

ذات غدر

بجب العدم»

هذا التناص –وهو استدعاء لمعنى من نص آخر، ويسمى الامتصاص– يكشف قدرة الشاعرة على إعادة إنتاج الرموز؛ لتخدم تجربتها الشعرية والنسوية، فقد أنتجت مشهد إلقاء النبي يوسف الكريم في البئر، وعبرت عن الصورة بألفاظها التي تشي بصراعات الذات مع الواقع، فجاء تعبيرا موغلا في التأثير والبوح عن مآسي صراع الواقع.

لقد ارتبط شعر روضة الحاج بواقع الأمة العربية وواقع شعبها

المكلوم ولسان حاله المنطوق، فانثالت شاعريتها انثيالاً، وتدفقت معانيها من بواعث تجربتها الإبداعية بعيدةً عن التعقيد والسطحية، وحافلة «بالتعبير الموحي الجلي الذي يتخذ التلقائية التعبيرية مهادًا جوهريًّا لتجربة الكتابة الإبداعية حتى تتشكل النصوص الشعرية من نوع العناق الحميم المشبع بدفء الأنوثة بين الذات والعالم، فالذات الشاعرة التي تعايش الحدث أو تعيشه، وتتأثر به، وتؤثر فيه هي الأخرى بشكل ضمني من خلال قراءته وتمريره على الرؤية الشعرية التي تعيد تشكيله من جديد وتحوله من زمنه العابر إلى فعل جمالي ثابت له ملامحه وتقاطيعه التعبيرية»(الأمين، 2022، ص.21).

ولعل تصريح الشاعرة بانتمائها إلى مدرسة الشعر الحديث (التفعيلة) صرحت بذلك في إحدى لقاءاتها يخفي قناعة واضحة بانفتاحها على تجارب جيل الحداثة الشعرية، وهو ما أرادته بقولها:» لم أستطع إخفاء تعصبي لموسيقى الشعر كمكون تأسيسي لا يكتمل الشعر بدونه –وهذا لا يعني أنني لم أستسغ غير ذلك– فقد وجدت الشعر مختبئًا خلف الكثير من الكتابات النثرية وغيرها، وجدته حاضرًا حيث لم أتوقع وجوده. وضبطتني متلبسة بمحبة الكثير من النصوص التي تجاوزت الموسيقى تمامًا مع سبق الإصرار والترصد.

بيد أنني بنت التفعيلة، أحبها وأعتقد أنها وحتى الآن أقصى ما يمكن تقبله من تجديد و(تجاوز) للعمود بنسقه التقليدي المعلوم، وأنّ من حقها –أي التفعيلة– أن تعيش لآلاف السنوات قبل أن تملها الذائقة فتبحث عن بديل لها!» (مدخلي، 2022، ص.46).

الخاتمة

اتضح من خلال دراسة تجربة روضة الحاج في ديوانها «ثم توليت للظل» أن النص الشعري لديها ليس مجرد فضاء جمالي، بل هو حقل دلالي لصراع مزدوج: صراع داخلي مع الذات الأنثوية في مجتمع محافظ، وصراع خارجي مع واقع سياسي واجتماعي مأزوم.

وقد استطاعت الشاعرة أن تجعل من صوتها الشعري مرآة لوجدان المرأة العربية، وهي تعيد تشكيل معالم الهوية الأنثوية، وتجترح مسارات مقاومة ضد التهميش والخذلان. كما أبانت التجربة عن تداخل البعد الفردي بالبعد الجمعي، بحيث يتحول الحنين الشخصي إلى حلم قومي، والوجع الذاتي إلى صرخة نسوية.

فقد رصدت هذه الدراسة بموضوعية وفنية تجليات الصراعات من خلال الديوان، وتوصّلت إلى نتائج أهمها:

أثبتت الدراسة حضور المرأة الشاعرة الإنسان بقلبها وقلمها في ظل الصراعات والآلام، فكانت لسان حال شعبها، والمعبرة عن هويتها الوطنية وتمسكها بأرضها وتراث أجدادها، استطاعت الشاعرة السودانية أن تقدم انعكاسًا نابعًا من عمق التجربة يوازي وطأة مآسي الصراعات المثقلة على قلوب شعبها.

استدعاء الرموز التراثية (مثل الخنساء) شكّل وسيلة للتعبير عن الوجع الأنثوي الممتد تاريخيًا، وإعادة صياغة رموز القوة والصمود.

اتّسم أسلوب الشاعرة بالتوسط بين مفردات المعجم الشعري القديم ومفردات اللغة المعاصرة.

وقد استلهمت الشاعرة قصة نبيّ الله يوسف عليه السلام حين ألقاه إخوته في غَيابة الجُبّ، غير أنّها أعادت تشكيل هذا الخطاب ذي البنية الذكورية، فحوّلته إلى صوتٍ أنثويّ واعٍ. وبذلك جعلت المرأة مركز التجربة، تمرّ الآلام كلّها عبر جسدها ووجدانها، فتغدو المرأة حرفًا وأرضًا معًا، تعبر من خلالها الأحداث، وتحفر التجربة في قلبها، حتى ينزف ألمًا ودمًا.

اعتمدت في بنائها الفني على إيقاع التكرار، والانزياحات البلاغية، والتناص مع النصوص القرآنية والتاريخية، مما أكسب النصوص ثراءً دلاليًا وجماليًا.

نهلت الشاعرة كثيرًا من معين الثقافة المتنوعة، وارتوت من كتب التراث الديني والأدبي، التي مكّنتها من استثمارها وتوظيفها توظيفًا يتلاءم وإفرازات الواقع المكلوم.

تمتلك الشاعرة قدرة كبيرة في عمل توليفة ذات سمت خاص، مقدرة لا بأس بها على التأليف بين العناصر المختلفة لتشخيص الواقع وتشكيل رؤية فنية نسوية تقوم على أنسنة الجمادات بث من خلالها المشاعر والعواطف المختزلة، وعذابات الجروح النازفة؛ فخلقت نصًّا نابضًا بالحيوية والحركة.

أثبتت الدراسة كذلك انتماء الشاعرة إلى مدرسة الشعر الحديث (التفعيلة)؛ لتنأى عن نزعة الغموض والتعقيد، ومجاهل السخف المعنوي المنتشر في التجارب الشعرية المعاصرة.

التوصيات:

ضرورة الاهتمام بالدراسات النقدية، وتوسيع دائرة البحث حول الشعر النسوي السوداني والعربي، لما يحمله من رؤى جديدة للهوية والذات. وفتح المجال لمقاربات مقارنة بين تجربة روضة وتجارب شاعرات عربيات أخريات (مثل فدوى طوقان، سعاد الصباح، نازك الملائكة)، للكشف عن المشتركات والاختلافات. وإمكانية إدراج شعر روضة الحاج ضمن المناهج الدراسية، باعتباره نموذجًا لتفاعل الأدب مع قضايا المرأة والحرية.

المراجع

القرآن الكريم.

أبكر، زين العابدين عبد الله محمد. (2017). النقد الثقافي التفاعلي: دراسة تطبيقية على شعر روضة الحاج (أطروحة ماجستير غير منشورة). جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية.

أبو المنذر، محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي. (2011). الأساليب والإطلاقات العربية، المكتبة الشاملة.

أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحتري. (2007). الحماسة (تحقيق:

محمد إبراهيم، أحمد محمد عبيد). هيئة الثقافة والتراث.

امرؤ القيس. (د.ت). ديوان امرئ القيس. دار صادر.

الأمين، عبد الله محمد. (2022). المعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج. *مجلة كلية اللغة العربية*، جامعة أم درمان الإسلامية. 222– 243.

الأمين، عبد الله محمد. (د.ت). استلهام التراث في شعر روضة الحاج. *المجلة العلمية للغة والثقافة*. 79 – 108.

برنامج صنوان. (1445هـ). لقاء: جابر القرني، الحلقة العاشرة. https://youtu.be/vcelbBk?si=Z8fQnXDEFmmSHxTS

بوحلاسة، نوار. (2012). الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح. *مجلة متقاليد*، (2)، ديسمبر. 13 – 20.

الجمحي، ابن سلام. (د.ت). طبقات فحول الشعراء (تحقيق: محمود محمد شاكر). دار المدني.

الجيوسي، سلمى الخضراء. (1993). الشعر والتجربة (ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي).

الحاج، روضة. (2007). مدن المنافي (ط. 2). [ب.د].

الحاج، روضة. (2011). ديوان للحلم جناح واحد (ط. 4). دار زين.

الحاج، روضة. (2013). ديوان ضوء لأقبية السؤال، أكاديمية الشعر.

الحاج، روضة. (2023). ديوان ثم توليت للظل. دار رشم للنشر والتوزيع.

حوار مع الشاعرة السودانية روضة الحاج (أجرته: هندة محمد). (2023، 2 فبراير). Seagulls Post Arabic.

سكاي نيوز عربية (2023) السودان في 2023: حرب ودمار وآلاف القتلى وملايين المشردين. سكاي نيوز عربية. https://www.skynewsarabia.com

الصديق، محمد عبد الله سليمان. (2021). شعر روضة الحاج: مقاربة في ضوء نظرية التناص. *مجلة الدراسات الثقافية والأدبية والفنية*، 5(19). 93–110.

الصفحة الرسمية للشاعرة روضة الحاج. (د.ت). فيسبوك. https://facebook.com/RawdaElha

عبد الباري، ماهر شعبان. (2009). التذوق الأدبي. دار الفكر

لوشن، نور الهدى. (1424). التناص بين التراث والمعاصرة. *مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها*، 15(26). 1019–1033

مجلة مسارات. (28 يونيو 2009). موقع البيان. https://www.bayan.com

محيي الدين، محمد عبد الحميد. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ط. 5). دار الجيل.

مدخلي، جابر محمد. (2022، 29 اكتوبر): روضة الحاج: منحت الشعر حياتي وآمنت به كرسالة وقيمة. موقع جريدة الرياض. https://www.alriyadh.com

معجم الشعراء العرب. (د.ت). الموسوعة الشعرية. المكتبة الشاملة.

المعروف، حسام. (2023). الحرب في قصائد شعراء سودانيين: كلهم قتلة! من الفيتوري إلى روضة الحاج. *مجلة المجلة*. https://www.majalla.com

نعمة، سارة علي محسن. (2022). الأدب النسوي: المفهوم، والنشأة والتطور عند منظري العرب والغربيين. *مجلة اللغة العربية وآدابها*، 37. 252–272.

Abkar, Zayn al-‘Abidin ‘Abd Allah Muhammad. (2017). Al-naqd al-thaqafi al-tafa‘uli: Dirasah tatbiqiyyah ‘ala shi‘r Rawda al-Haj (in Arabic) [Unpublished master’s thesis]. Jami‘at al-Nilayn, Kulliyyat al-Dirasat al-‘Ulya, Qism al-Lughah al-‘Arabiyyah.

Al-Amin, ‘Abd Allah Muhammad. (2022). Al-mu‘jam al-shi‘ri wa al-huqul al-dalaliyyah fi shi‘r Rawda al-Haj (in Arabic). *Majallat Kulliyyat al-Lughah al-‘Arabiyyah,* Jami‘at Umm Durman al-Islamiyyah, 222–243.

Al-Amin, ‘Abd Allah Muhammad. (n.d.). Istilham al-turath fi shi‘r Rawda al-Haj (in Arabic). *Al-Majallah al-‘Ilmiyyah lil-Lughah wa al-Thaqafah,* 79–108.

Buhlasah, Nawwar. (2012). Al-inziah bayn uhadiyyat al-mafhum wa ta‘addud al-mustalah (in Arabic). *Majallat Maqalid,* 2, 13–20.

Al-Siddiq, Muhammad ‘Abd Allah Sulayman. (2021). Shi‘r Rawda al-Haj: Muqarabah fi daw’ nazariyyat al-tanas (in Arabic). Majallat al-Dirasat al-Thaqafiyyah wa al-Lughawiyyah wa al-Fanniyyah, 5(19), 93–110.

Lawshan, Nur al-Huda. (1424H). Al-tanas bayn al-turath wa al-mu‘asirah (in Arabic). Majallat Jami‘at Umm al-Qura li-‘Ulum al-Shari‘ah wa al-Lughah al-‘Arabiyyah wa Adabiha, 15(26), 1019–1033.

Ni‘mah, Sarah ‘Ali Muhsin. (2022). Al-adab al-

(4th ed.). Dar Zain.

Al-Haj, Rawda. (2013). Light for the Basements of the Question. Poetry Academy.

Al-Haj, Rawda. (2023). Then I Turned to the Shadow. Dar Rashm for Publishing and Distribution.

Interview with the Sudanese Poet Rawda Al-Haj. Conducted by Hinda Mohammed. (February 2, 2023). Seagulls Post Arabic.

Sky News Arabia. (2023). Sudan in 2023: War, Destruction, Thousands of Deaths, and Millions Displaced.

Al-Siddiq, Mohammed Abdullah Suleiman. (2021). The Poetry of Rawda Al-Haj: An Approach in Light of Intertextuality Theory. *Journal of Cultural, Linguistic and Artistic Studies,* 5(19), 93–110.

Official Page of Poet Rawda Al-Haj. (n.d.). Facebook.

Abdel Bari, Maher Shaaban. (2009). Literary Appreciation. Dar Al-Fikr.

Loushan, Nour Al-Huda. (1424 AH). Intertextuality Between Heritage and Modernity. *Umm Al-Qura University Journal for Sharia and Arabic Language Sciences,* 15(26), 1019–1033.

Masarat Journal. (June 28, 2009). Al-Bayan Website.

Mohieddin, Mohammed Abdel Hamid. (1981). The Pillar in the Merits and Literature of Poetry (5th ed.). Dar Al-Jeel.

Madkhali, Jaber Mohammed. (October 29, 2022). Rawda Al-Haj: I Gave Poetry My Life and Believed in It as a Message and Value. Al-Riyadh Newspaper Website.

Dictionary of Arab Poets. (n.d.). The Poetry Encyclopedia. Al-Maktaba Al-Shamela.

Al-Ma'arouf, Hossam. (2023). War in the Poems of Sudanese Poets: They Are All Killers! From Al-Faytouri to Rawda Al-Haj. *Al-Majalla Magazine.*

Neama, Sara Ali Mohsen. (2022). Feminist Literature: Concept, Origin, and Development Among Arab and Western Theorists. *Journal of Arabic* Language and Literature, 37, 252–272.

niswi. Al-mafhum wa al-nash'ah wa al-tatawwur 'inda munazziri al-'Arab wa al-Gharb (in Arabic). *Majallat al-Lughah al-'Arabiyyah wa Adabiha,* 37, 252–272.

The Holy Qur'an.

Abkar, Zain Al-Abidin Abdullah Mohammed. (2017). Interactive Cultural Criticism: An Applied Study on the Poetry of Rawda Al-Haj. Unpublished Master's Thesis, Al-Neelain University, Faculty of Graduate Studies, Department of Arabic Language.

Abu Al-Mundhir, Mahmoud bin Mohammed bin Mustafa bin Abdul Latif Al-Minyawi. (2011). Arabic Styles and Expressions. Al-Maktaba Al-Shamela.

Abu Ubadah, Al-Walid bin Ubaid Al-Buhturi. (2007). Al-Hamasa. Edited by Mohammed Ibrahim & Ahmed Mohammed Ubaid. Culture and Heritage Authority.

Imru' Al-Qais. (n.d.). Diwan of Imru' Al-Qais. Dar Sader.

Al-Amin, Abdullah Mohammed. (2022). The Poetic Lexicon and Semantic Fields in the Poetry of Rawda Al-Haj. *Journal of the Faculty of Arabic Language, Omdurman Islamic University,* 222–243.

Al-Amin, Abdullah Mohammed. (n.d.). Heritage Inspiration in the Poetry of Rawda Al-Haj. *Scientific Journal of Language and Culture,* 79–108.

Sanwan Program. (1445 AH). Interview with Jaber Al-Qarni, Episode 10.

Bouhlasa, Nawar. (2012). Deviation Between the Unity of Concept and the Multiplicity of Terminology. *Maqalid Journal,* Issue (2), December, 13–20.

Ibn Salam Al-Jumahi. (n.d.). Classes of the Master Poets. Edited by Mahmoud Mohammed Shaker. Dar Al-Madani.

Al-Jayousi, Salma Al-Khadra. (1993). Poetry and Experience. Translated by Salma Al-Khadra Al-Jayousi.

Al-Haj, Rawda. (2007). Cities of Exile (2nd ed.).

Al-Haj, Rawda. (2011). The Dream Has One Wing

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

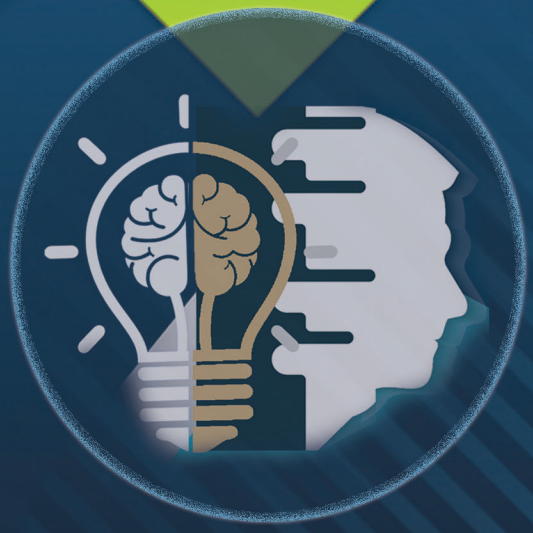

Ninth year, Issue 30
Volume 2, June 2026

Arcif Analytics

Print ISSN:1658-788X
Online E-ISSN:1658-8819